

اجتهادات فلسفة العصر الرقمي

عندما كتب مارتن هايدجر عن نهاية الفلسفة في عالم تحكمه أو تتحكم به التكنولوجيا الحديثة، قصد معنى يختلف عما يرد إلى الذهن للوهلة الأولى. الفلسفة في تصوره، لم تمت بل حققت الغرض منها، وفتحت الطريق أمام منحى جديد في التفكير في ظل التطور العلمى والمعرفى. وربما يكون هذا المعنى هو الأكثر دقة من بين معان عدة حملتها كتابات عن نهاية الفلسفة.

وبرغم أن التفكير العميق فى أحوال الإنسان والمجتمع والعالم والكون يبقى متأثرًا بما سعت إليه الفلسفة على مدى قرون طويلة، وبما أثارتها من أسئلة حول قضايا كبرى، لم يعد ضروريًا حصر هذا التفكير فى قضايا الوجود والأخلاق والقيم، والتمييز بين الخير والشر، وما إلى ذلك من قضايا شغلت الفلسفة لأزمان طويلة.

وليس ضروريًا كذلك أن يُعيد التفكير فى عصرنا إنتاج أحد أهم ما عُتيت به الفلسفة، وهو ما أسماه فريدريك هيجل بناء المذاهب. فالفلاسفة عند هيجل ليسوا إلا بناءة مذاهب. فقد أدى ما بدا إخفاقًا لنماذج أُقيمت على أساس فلسفات أو أطروحات فكرية كبرى إلى اعتقاد واسع فى عدم جدوى المذاهب أو الأنساق الفكرية المتسقة والمتماسكة أو التى يؤمن أنصارها بأنها كذلك.

غير أن التقدم العلمى والتكنولوجى الفائق السرعة يضع الفلسفة أمام تحد تاريخى، وهو التفكير فى طبيعة الوجود الإنسانى فى العصر الرقمى، وما سيؤول إليه، خاصةً مع بشائر الثورة الصناعية الخامسة التى يقع الذكاء الاصطناعى فى موقع القلب منها، على نحو ينقل الإنسان إلى مرحلة ، وربما إلى Homo Numericus جديدة يسميها البعض الإنسان الرقمى ، مرحلة أبعد وأكثر إثارة للعقل، وهى ما قد يجوز أن نسميها مرحلة ما بعد ، فى حالة تحقق ما Augmented الإنسان، أو الإنسان المُعزّز أو المُزاد يبدو اليوم فى منزلة بين الخيال والحقيقة، وهو زرع رقائى حاسوب فى «دماغه لتجعله أكثر ذكاءً».

فيا لها من مهمة تلك التى يتعين على التفكير أن يضطلع بها معتمداً على ذخائر الإسهامات الفلسفية، خاصةً المنهجية منها، وعلى جديد العلم الذى يتجدد كل يوم، فى آن معاً.